تابع الدين . والشرف . والمروءة في حسِّ الملك عبد العزيز رحمه الله

العنصر الخامس: التجرد العظيم تجاه إغراءات الجاه والسلطان

في كلمة ألقاها بمكة عام 1356 هـ يقول: إن الحياة المجردة عن الدين، والزاخرة بأنواع القوة ليست حياة، كذلك عظمة الملك وجبروته ليست بالحياة، وإنما الحياة الدين والتمسك به وإقامة حدود الله، فالحياة التي تسير على أساس الدين هي القوة، أما الحياة التي تسير على غير الدين فهي كالمطر الذي يقع على السبخة فلا يجدي ولا يثمر١.

ويقول في الكلمة التي ألقاها جلالته في حفل تكريم كبار الحجاج 1351/12/5هـ: "يقولون إنني أطلب أن أصير خليفة على المسلمين. أنا ما ادعيت هذا ولا طالبت به، لأن على الخليفة واجباً هو تنفيذ أوامر الدين على كل فرد من أفراد المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها فهل هناك من رجل يستطيع أن ينفذ ذلك على المسلمين في هذه الأيام"٢.

ويقول عنه حفيده عبد الله الفيصل: "حارب الملك عبد العزيز فكرة تلقيبه بخليفة المسلمين، وهو أجدر بها من كثير ممن سعوا إليها. ولم يغره المال، وبهارج الحياة ولم يستطع ما هيأه الله على يديه من خيرات الدنيا أن يغير ما في نفسه: أو على الأقل أن يغير ملبسه أو مأكله، من بدايته إلى أن قبض الله روحه، الملك عبد العزيز لم يخلف قصراً ولا مزرعة ولا ثروة ولم يرث أحد من أبنائه شيئا"٣.

وتتحدث عنه مجلة "لايف الأمريكية" فتقول: "كان الملك عبد العزيز بن سعود في طريقه إلى مكة لأداء فريضة الحج على عادته كل سنة، وفجأة انفجرت إحدى عجلات سيارته "البكار" فجلس على الرمال ريثما يتم إصلاحها، ومرَّ به راع يركب جملاً، وسأله عما إذا كان الملك قد مرَّ أمامه فقال الملك: ولماذا تريده؟ قال سمعت أنه في طريقه إلى مكة، قلت لعله يمنحني شيئاً من النقود أستطيع أنا كذلك أن أحج بها ففتح الملك حقيبة الجنيهات الذهبية التي يحتفظ بها دائماً إلى جواره، وملأ يده بقطع منها وقدمها إلى الراعي، فذهل الأخير وحدّق في الجنيهات الذهبية ثم في الملك وقال شكراً لك يا عبد العزيز لم أميز وجهك ولكني عرفتك من كرمك، وليست هذه المقابلة بالشيء الجديد على الملك ولا على رعيته فإن بادية الجزيرة العربية لما كانت خلواً من المطابع والسينما فقد ظل وجه ابن سعود غير معروف عند عامة الشعب.

ومع أن الأعرابي دعا الملك باسمه الأول فإنه لم يتعد في ذلك التقاليد فابن سعود ليس في حاجة إلى مظاهر التشريفات، والرسميات التي تتبع في بعض الممالك الدستورية حيث تخفى السيطرة الحقيقة لأنه وهو العاهل الكبير يجمع بين العمل كرئيس وحاكم عام، ورئيس وزراء، ووزير مالية، ورئيس ديني وقائد عام وهو يسمح للجميع بمقابلته فيستقبل كل يوم عدداً كبيراً من أتباعه في قصره بالرياض"٤.

وفي حديث له موجه لبعض أبناء قطر عربي يقول: "إن التفرق لا ينبغي أن يكون بين العرب فيجب علينا الإتحاد، والتضامن، وإزالة الفوارق بيننا، ويجب أن نعدل ونحكم بالعدل يقتضي أن نترك الأهواء، ولا نهتم بالكراسي الكراسي أذهبتكم أيها الناس فما معنى الحرص على الكرسي وهو مزعزع"٥.

وفي كلمته التي ألقاها في المؤتمر الإسلامي المنعقد في مكة في 1344/11/20هـ يقول: "إننا آل سعود لسنا ملوكاً مستبدين، ولا حكاماً شخصيين بل نحن في بلادنا مقيدون بأحكام الشرع ورأي أهل الحل والعقد"٦.

وفي القصر الملكي بمكة في ذي الحجة 1347هـ ألقى كلمة جاء فيها: "... والله إنني لا أحب الملك وأبهته، ولا أبغي إلا مرضاة الله والدعوة إلى التوحيد ليتعاهد المسلمون فيما بينهم على التمسك بذلك وليتفقوا فإنني أسير وقتئذ معهم لا بصفة ملك أو زعيم أو أمير بل بصفة خادم أسير معهم أنا وأسرتي وجيشي وبنو قومي والله على ما أقول شهيد وهو خير الشاهدين"٧.

وفي حفل تكريم أقيم على شرف جلالته بمكة 1348هـ ألقى كلمة مما جاء فيها قوله: "لست ممن يفخرون بألقاب الملك ولا بأبهته، ولست ممن يولعون بالألقاب ويركضون وراءها وإنما نحن نفتخر بالدين الإسلامي.."٨

ويقول أحمد الجابر الصباح 1926م عن جلالة الملك عبد العزيز: "من نعم الله على الجزيرة أن يحكم فيها ملك عظيم الشأن كالملك عبد العزيز، عرفته وصحبته من خمسة وثلاثين عاماً قبل أن يلي الحكم، وبعد أن وليه فما غرَّه الحكم ولا فتنة التاج والسلطان وما برح الفارس الشجاع، والقاضي العادل، والسياسي المحنك"٩.

---

١ المصحف والسيف (111).
٢ المصحف والسيف (85).
٣ شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز (914/3).
٤ شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز (1126/3).
٥ شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز (1237/3).
٦ المصحف والسيف (50).
٧ المصحف والسيف (56).
٨ المصحف والسيف (62).
٩ الوجيز (195).

ويقول عن نفسه رحمه الله: "لست ملكاً بمشيئة أجنبية بل أنا ملك بمشيئة الله ثم بمشيئة العرب الذين اختاروني وبايعوني، على أنها ألقاب وأسماء فما أنا إلا عبد العزيز قال العرب إنني ملك فرضيت قولهم وشكرت ثقتهم، وفي اليوم الذي لا يريدونني زعيماً لهم أعود إلى الصف وأحارب معهم بسيفي، كأصغر واحد فيهم دون أن ينال نفسي شيء من الغضاضة"[١٠].

ويتعلق في الهزيع الأخير من الليل عند صلاة الفجر بأستار الكعبة داعياً بقوله: "اللهم إن كان في هذا الملك خير لي وللمسلمين فأبقه لي ولأولادي، وإن كان فيه شر لي وللمسلمين فانزعه مني ومن أولادي".

ثقة بالنفس، وسلامة في التوجه، وإخلاص لله أثمر هذا الدعاء العظيم وحقق إنجازا رائعاً. نسأل الله أن يديم سير القافلة على ما يرضيه.

العنصر السادس: الشُّعور الدَّائم بالمسؤوليَّة تجاه الدِّين، والأمَّة، والوطن

إن من السمات البارزة للوالي المسلم هو شعوره بالمسؤلية الخطيرة الملقاة على عاتقه، وأن تلك مسؤولية تكليف لا تشريف فهو مسؤول مسؤولية كاملة أمام الله ثم أمام التاريخ عن دينه وأمته ووطنه، وقد ضرب الخلفاء الراشدون، والولاة المصلحون من المسلمين أروع الأمثلة في تحمل مسؤولياتهم على خير وجه، والملك عبد العزيز رحمه الله ليس بدعاً في هذا فهو خير خلف يقتفي أثر سلف صالح من الخلفاء، والملوك، والولاة المسلمين، ومن أقربهم إليه أباؤه وأجداده من الأسرة السعودية.

يقول في خطبة له رحمه الله: "يعلم الله أن كل جارحة من جوارح الشعب تؤلمني وكل أذى يمسها يؤذيني وكذلك الشعب يتألم إذا أصابني شيء، ولكن المصلحة العامة تضطرني لأن أقضي على من لا يصغي للنصح والإرشاد، وبأن أتجرع ألم ذلك حفظاً لسلامة المجموع إنني أتألم جد الألم إذا رأيت بعض الأشخاص يشذون عن الطريق السوي فيصغون لوساوس الشيطان ومما لاشك فيه أن المصلحة العامة هي فوق كل مصلحة ولذلك فإن مصلحة المسلمين ترخص الأنفس في بعض الأوقات فالله أسأل أن يهدي المسلمين إلى سواء السبيل، وأن يجعل كلمته هي العليا"[١١].

ويقول في كلمة له أيضاً: إن الله أمرنا أن ننظر في كل أمر من أمورنا، وألا ندخر جهداً في المحافظة على كياننا قال تعالى:**{وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ}**[١٢][١٣].

وفي الجلسة الافتتاحية لمجلس الشورى في دورة جديدة سنة 1349هـ قال:

"ولا أحتاج في هذا الموقف أن أذكركم بأن هذا البلد المقدس يتطلب النظر فيما يحفظ حقوق أهله وما يؤمن الراحة لحجاج بيت الله الحرام، ولذلك فإنكم تتحملون مسؤولية عظيمة إزاء ما يعرض عليكم من النظم والمشاريع سواء كانت تتعلق بالبلاد أو بوفود الحجاج من حيث اتخاذ النظم التي تحفظ راحتهم واطمئنانهم في هذا البلد المقدس وإني أسأل الله لكم التوفيق في سائر أعمالكم"[١٤].

ومما هم الملك عبد العزيز رحمه الله كثيراً شأن المقدسات الإسلامية فعمل على تطهيرها وحمايتها وتأمين الطريق إليها يقول في كلمة له موجهة إلى وفود المؤتمر الإسلامي المنعقد بمكة سنة 1344هـ: "وقد تولت أمر الحجاز دول كثيرة من خلفائها وسلاطينها مَنْ عنوا ضرباً من العناية ببعض شؤونه، ومنهم من أراد أن يحسن فأساء بجهله ومنهم من لم يبال بأمره البتة فتركوا الأمراء المتوكلين لإدارته بالفعل. فلما بلغ السيل الزبى، وثبت بالتشاور بين أهل الحل والعقد عندنا أنه يجب علينا شرعاً إنقاذ عهد الإسلام عزمنا على ذلك، وتوكلنا على الله في تنفيذه، وبذلنا أموالنا وأنفسنا في سبيله فأيدنا الله بنصره وطهرنا البلاد المقدسة كما عاهدنا الله ووعدنا المسلمين"[١٥]. هذا كلام صاحب الشأن الملك عبد العزيز وهو كلام مقتضب شأن الملك عبد العزيز رحمه الله في جعل الفعل أعظم وأوسع من القول - وهي دلالة واضحة على سلامة المنهج وصدق النية - فلنسمع لمفكر واسع الإطلاع صادق اللسان يهتم بأمر الإسلام والمسلمين وهو يتحدث عن هذا الإنجاز الذي تم في أرض الحجاز بصفة خاصة وقد تم في الجزيرة بصفة عامة ولله الحمد.

يقول الأمير شكيب أرسلان المتوفي سنة 1946م: "وحقيقة الحال هي أن تلك الفوضى لم تنشأ إلا عن إهمال العمل بقواعد الشرع الإسلامي، وعن إرخاء العنان لبعض الأمراء الذين كانوا يلون أمر الحجاز مدلين على الناس بما لهم من النسب النبوي الشريف الذي كان يحول بين سلاطين الإسلام وتشديد الوطأة عليهم، أو إرهاف الحد فيهم وقد كان هذا من خطل الرأي ومن التقصير في جانب الشرع فإن الشريعة الإسلامية لا تعرف نسباً ولا حسباً **{فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ}** [١٦].

---

١٠ الوجيز (141).
١١ المصحف والسيف (58).
١٢ سورة الأنفال آية (60).
١٣ المصحف والسيف (62).
١٤ المصحف والسيف (64).
١٥ المصحف والسيف (49).
١٦ المؤمنون آية (101).

وإنّ الله تعالى قد جعل التقوى فوق كل المناقب والمحاسن وقرر أن من قصر به عمله لم ينهض به نسبه..

ولهذا كان سلاطين الإسلام من وقت لآخر ينذرون من أمراء الحرمين من كانوا يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق، ولقد ذهب مثلاً ذلك الكتاب الذي كتبه أحد سلاطين مصر من المماليك إلى أحد أمراء مكة المكرمة وهو الذي يقول فيه: اعلم أن الحسنة في نفسها حسنة وهي من بيت النبوة أحسن والسيئة في نفسها سيئة وهي من بيت النبوة أسوأ وقد بلغنا أنك بدلت حرم الأمن الخيفة وأتيت ما يحمر له الوجه وتسود الصحيفة فإن وقفت عند حدك وإلا أغمدنا فيك سيف جدك..

ثم قال أرسلان: إلا أنه قد بقيت مع الأسف أحوال الحجاز غير مستوية وأعراب البادية يسطون على الحجاج وليس لداء معرّتهم علاج وكانت كل من الدولة العثمانية والدولة المصرية ترسل طوابير من الجند النّظامي مصحوبة بالمدافع وسائر آلات القتال.

لأجل خفارة قوافل الحج، وتؤدي إلى زعماء القبائل الرواتب الوافرة وكل هذا لم يكن يمنع الأعراب، ومن لا يخاف الله... من تخطّف الحجاج في كل فرصة تلوح لهم.

وكثيراً ما كانت قافلة الحج تضطر إلى الرجوع وقد فاتها الحج أو الزيارة بعد أن قصدوا ذلك من مكان سحيق، وتكلفوا بذل الأموال، وتجشموا مشاق الأسفار في البر والبحر، فكانوا يذوبون من الشوق على ما فاتهم، ويتحرقون من الوجد، ويبكون بصيب الدمع، والناس بأجمعهم يحوقلون، ويقولون: "ليس لها من دون الله كاشفة" ذاهبين إلى أن سطو الأعراب هؤلاء داء عضال لا تنفع فيه حيلة ولا وسيلة وقد عمت بهم البلوى وإلى الله المشتكى ١٧. وهكذا توالت القرون والحقب والناس على هذا الاعتقاد لا يتزحزحون عنه إلى أن آل أمر الحجاز إلى الملك عبد العزيز بن سعود منذ بضع عشرة سنة فلم تمض سنة واحدة حتى انقلب الحجاز من مسبعة تزأر فيها الضواري في كل يوم بل في كل ساعة إلى مهد أمان وقرارة اطمئنان، ينام فيها الأنام بملء الأجفان، ولا يخشون سطوة عاد ولا غارة حاضر ولا باد، وكأن أولئك الأعراب الذين روعوا الحجيج مدة قرون وأحقاب لم يكونوا في الدنيا، وكأن هاتيك الذئاب الطلس تحولت إلى حملان فلا نهب ولا سلب ولا قتل ولا ضرب، ولو شاءت الفتاة البكر الآن أن تذهب من مكة إلى المدينة أو من المدينة إلى مكة أو إلى أي جهة من المملكة العربية السعودية وهي حاملة الذهب والألماس والياقوت، والزمرد ما تجرأ أحد أن يسألها عما معها.

ما من يوم إلا وتحمل فيه إلى دوائر الشرطة لقط متعددة ويؤتى بضوال فقدها أصحابها في الطرق وأكثر من يأتي بها الأعراب أنفسهم خدمة للأمن العام.

وإبعاداً للشبهة عنهم، وعن ذويهم فسبحان محول الأحوال ومقلب القلوب والله لا يوجد في هذا العصر أمن يفوق أمن الحجاز لا في الشرق ولا في الغرب ولا في أوربا ولا في أمريكا، وقد تمنى المستر كراين الأمريكي صديق العرب الشهير في إحدى خطبه أن يكون في وطنه أمريكا الأمن الذي رآه في الحجاز واليمن.

وكل من سكن أوربة وعرف الحجاز في هذه الأيام يحكم بأن الأمنة على الأرواح والأعراض والأموال في البقاع المقدسة هي أكمل وأشمل وأوثق أوتاداً وأشد أطناباً منها في الممالك الأوربية والأمريكية. فها هو ذا ابن سعود قد ضبطها بأجمعها في مملكته الواسعة، ومحا أثر الغارات والثّارات بين القبائل، وأصبح كل إنسان يقدر أن يجوب الصحاري وهو أعزل، ويدخل أرض كل قبيلة دون أن يعترضه معترض، أو يسأله إلى أين هو غاد أو رائح، ولو قيل لبشر إن بلاداً كان ذلك شأنها من الفزع والهول وسفك الدماء وقطع الطرق قد مرد أهلها على هذا البغي وهذا العدوان من سالف الأزمان، وأنه يليها ابن سعود فلا تمضي على ولايته لها سنة واحدة حتى يطهرها تطهيراً ويملأها أمناً وطمأنينة لظن السامع أنه يسمع أحلاماً أو خرافات أو اتهم القائل في صحة عقله.

ولكن هذا قد صار حقيقة كلية وقضية واقعية في وقت قصير، وما أوجده إلا همة عالية، وعزيمة صادقة، وإيمان بالله، وثقة بالنفس، وعلم بأن الله تعالى مؤيد من أيده، ناصر من نصره، يحث على العمل، ويكافئ العامل، ويكره اليأس، ويقول لعباده **{وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ}**١٨.

وقد سرت بشرى الأمان الذي شمل البلاد المقدسة الحجازية فعمت أقطار الإسلام وأثلجت صدور أبنائه وارتفعت عن الحجاز تلك المعرة التي طالما وجم لها المسلمون وذلك بقوة إرادة الملك عبد العزيز بن سعود والتزامه حدود الشرع١٩.

---

١٧ إن المتتبع لهذه المشكلة في كتب التاريخ يجد ما يندى له الجبين، ويتساءل وهو يقرأ ذلك أيمكن أن يصل الإنسان إلى هذا المستوى من الظلم والعدوان والوحشية؟ وخاصة مع أناس يدينون بدينه، وجاءوا متلبسين بنسك عظيم هو أحد أركان الإسلام الخمسة؛ لكن يزول العجب وتنجلي الحقيقة إذا تذكرنا أن البشرية لا يصلحها إلا شرع الله الذي خلقها وشرع لها ما يضمن لها حياة حرة كريمة، ومتى حادت عن منهج الله ضلت وهلكت. وكانت كما وصفها الله **{إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً}** الفرقان آية (44).

١٨ الحجر آية 56.

١٩ لماذا تأخر المسلمون، ولماذا تقدم غيرهم (164 168).

ويقول الملك عبد العزيز رحمه الله أمام المؤتمر الوطني: "إن التقصير واقع وأنا مسؤول عن هذا التقصير ولا أستطيع أن أهمل هذا الأمر، وقد كلفت بالبحث فيه حيناً هيئة الشورى، وحيناً هيئة التحقيق، ولكننا لم نصل إلى نتيجة حاسمة فيجب أن تنظروا في هذه الأمور"٢٠.

وفي خطابه أمام كبار الحجاج عام 1350هـ يقول: "لقد اجتمعنا اليوم في أفضل البقاع على دين الإسلام، نتذاكر في طاعة الله تعالى، التي لا قوام إلا بها فالملتبس عليه الأمر نفهمه، وصاحب النصيحة يبديها، والمعاند يكفينا الله سوءه ولا يهمنا أمره، وإذا الذي كان بيني وبين الله عامراً فعسى الذي بيني وبين العالمين خراب، ونحن بشر لا نخلد ولا نبقى، وقد مضى صفوة الخلق، ومضى أصحابه بعده ولكن الإنسان يعمل جهده فيما يصلح به الحال ويكشف به الغطاء"٢١.

وفي خطاب له أيضاً يقول: "... ونحن نعاهد الله، ونقسم أمامكم على ذلك أننا لن نتنكب الطريق السوي مهما تحملنا من المتاعب والمشاق، فإن الذي يجمع شملنا، ويوحد بيننا هو أمر صغير في حد ذاته، ولكنه كبير وعظيم، وهو الالتفاف حول كلمة التوحيد، والعمل بما أمر به الله ورسوله٢٢.

وفي كلمة له يقول رحمه الله: "أنا لا أحب أن أشق على الناس، ولكن الواجب يقضي بأن أصارحكم.. إننا في أشد الحاجة إلي الاجتماع، والاتصال بكم لتكونوا على علم تام بما عندنا، ونكون على علم تام بما عندكم.. وأود أن يكون هذا الاتصال مباشرة، وفي مجلسي لتحملوا إلينا مطالب شعبنا ورغباته وتحملوا إلى الشعب أعمالنا ونوايانا.. إنّي أود أن يكون اتصالي بالشعب وثيقاً دائماً لأن هذا أدعى لتنفيذ رغبات الشعب... لذلك سيكون مجلسي مفتوحاً لحضور من يريد الحضور... وفي حالة غيابي سيكون مجلس نائبنا مفتوحاً لهذه الغاية بدلاً من مجلسنا سواء كان في مكة أو في الطائف وإذا كان في هذا مشقة على الناس إلا أن فيه مصلحة لا تخفى عليكم.

أنا أود الاجتماع بكم دائماً لأكون على اتصال تام بمطالب شعبنا، وهذه غايتي من وراء هذا الاتصال، نسأل الله أن يوفقنا لما فيه الخير لهذا الوطن العزيز"٢٣.

ويؤكد رحمه الله على الرعية أن ترفع لجلالته أي مظلمة تقع عليها فيعلق على باب المسجد النبوي الشريف الإعلان التالي: من عبد العزيز بن عبد الرحمن ابن سعود إلى شعب الجزيرة العربية "على كل فرد من رعيتنا يحس أن ظلماً وقع عليه أن يتقدم إلينا بالشكوى، وعلى كل من يتقدم بالشكوى أن يبعث بها بطريق البرق أو البريد المجاني على نفقتنا، وعلى كل موظف بالبريد أو البرق أن يتقبل الشكاوى من رعيتنا ولو كانت موجهة ضد أولادي أو أحفادي أو أهل بيتي، وليعلم كل موظف يحاول أن يُثني أحد أفراد الرَّعية عن تقديم شكواه - مهما تكن قيمتها - أو حاول التأثير عليه ليخفف من لهجتها أننا سنوقع عليه العقاب الشديد، لا أريد في حياتي أن أسمع عن مظلوم، ولا أريد أن يحملني الله وزر ظلم أحد أو عدم نجدة مظلوم أو استخلاص حق مهضوم. ألا قد بلغت اللهم فاشهد. عبد العزيز"٢٤.

ويروي حفيده الأمير عبد الله الفيصل أنه كان في يوم من الأيام بين كبار رجال الدولة من وزراء ومستشارين، وفجأة وجم وبكى بحرقة، وحين سأله أحد الشخصيات الكبيرة عن سبب ذلك قال بعد أن هدأ: "يا فلان أنت لا تعلم ما يبكيني. أنني فكرت في حال هذه الأمة ومصيرها، والله إن أحب ما إليّ أن أُدفن مع أولادي وبقية أسرتي وأنا مطمئن على الأمة في دينها ودمائها وأعراضها وأموالها لم يبكني غير ذلك"٢٥.

هكذا تكون النفس العامرة بالإيمان والخوف من الله حين تستشعر مسؤليتها أمام الله سبحانه المطلع على خائنة الأعين وما تخفي الصدور، ثم أمام الأمة والتاريخ وهو موقف تكرر ويتكرر عبر التاريخ الإسلامي من الخلفاء الراشدين والملوك العادلين.

ويقول الملك عبد العزيز رحمه الله أمام وفد بلد عربي كان يخضع وقتها للاستعمار: "... لقد قابلت روزفلت وتكلمت معه بشأن سورية، ولبنان، وفلسطين وفاتحني هو بشأن إصلاح بلادي بما تحتاج إليه من تحسين الزراعة ونشر المعارف وإصلاح حال الجيش فقلت له: إنني أحب العمل

---

٢٠ المصحف والسيف (68).
٢١ المصحف والسيف (75).
٢٢ المصحف والسيف (93).
٢٣ المصحف والسيف (102).
٢٤ المصحف والسيف (334) والوجيز (187).
٢٥ شبه الجزيرة 915/3.

للبلاد العربية كافة ليس لبلادي خاصة وليس لي مطالب من الأمريكيين سوى سورية، ولبنان، وفلسطين فوعدني بمساعدة العرب..

وختم جلالته الحديث قائلاً: " نحن جنود لخدمة الوطن العربي في كل بقعة من بقاعه، نشأنا على هذا، وسنظل على ذلك حتى ينال العرب استقلالهم جميعاً، أنا لا يهمني ترف الحياة فطالما تركت الغذاء أياماً وأنا أجاهد، والآن لا أزال مستعد أن آكل يوماً وأجوع يوماً لتعيش بلاد العرب جميعاً"[٢٦] هكذا يقول رحمه الله.

---

٢٦ شبه الجزيرة 1238/3.

وإذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرادها الأجسام

قوة هائلة واستعداد صادق لصرفها في مرضاة الله ثم في مصلحة المجموع دون إقليمية مقيتة أو عصبية قبلية.

وانظر الإحساس المرهف، وبعد النظر فيما يخافه على الأمة ومقومات قوتها، عرض عليه فيلم تعليمي عن حاملة طائرات أمريكية وعن دورها في الحرب فأعجب جلالته به ولكنه علق عليه قائلاً: "إني أشك في إمكان السماح لشعبي برؤية مثل هذه الأفلام المدهشة لأنها قد تقوي فيهم الميل إلى اللهو، وقد تصرفهم عن ذكر الله وعن واجباتهم الدينية"٢٧.

والملفت في الموضوع بعد نظر الملك عبد العزيز رحمه الله في ذلك الوقت المبكر قبل الثورة الإعلامية الحالية والتي تتطور بشكل مذهل، ونحن نجد اليوم وبعد حوالي مئة سنة من قول الملك عبد العزيز رحمه الله هذا دراسات متعددة حول سلبيات وسائل الإعلام وهو ما أشار إليه رحمه الله وخافه.

وانطلاقاً من استشعار الملك عبد العزيز رحمه الله لمسؤوليته العظيمة تجاه الدين، والأمة، والوطن. كانت المواقف الحاسمة التالية في مسائل مصيرية خطيرة.

يقول فلبي وهو يتحدث عن أهمية وجود طبيب في الرياض موجهاً حديثه للسلطات البريطانية: "... وبما أنه تقرر في وقت ما أن ممثلاً طبياً من البعثة الأمريكية في الخليج قد يسد تلك الثغرة ولا أقول شيئاً عن النزعة المؤكدة لتوسيع نشاط المبشّرين (المنصرين) في جزيرة العرب في جانب سلطات التبشير فإني أرى من الضروري أن أحذّر الحكومة (البريطانية) بأن استخدام موظف طبي من ذلك المصدر لن يكون مقبولاً لدى ابن سعود ورعاياه وأنه يجب أن يبذل كل جهد لعدم تشجيع العمل الطبي في أرضه من قبل الموظفين في البعثة الأمريكية ومن واجب الإنصاف لابن سعود أن أوضح أنه وجه دعوة ودية للدكتور هاريسون أحد أعضاء تلك البعثة لزيارة الرياض لعمل طبي في صيف عام 1917م وأن خطأ ذلك الطبيب نفسه هو الذي أنهى عمله فجأة فلم يكن أبداً من الضروري أن تُغلّف الحبوب والمسحوقات بدعايات مسيحية"٢٨.

وفي مناقشات الملك عبد العزيز رحمه الله مع الرئيس الأمريكي "روزفلت" حول قضية فلسطين قال الملك عبد العزيز:"إن هناك جيشاً إسرائيلياً في فلسطين كامل التسليح يريدون به فيما يعتقد محاربة العرب لا محاربة الألمان".

وأوضح الملك عبد العزيز "أن العالم العربي لن يسمح لليهود بأي توسع آخر في فلسطين للتوطن في المستقبل، وأن العرب سيحملون السلاح قبل أن يوافقوا على هذا الأمر وأن دينه يوجب عليه العمل معهم في فلسطين وحولها".

وصرح الملك عبد العزيز بأن العرب واليهود لا يمكن أن يتعاون بعضهم مع بعض لا في فلسطين ولا في أي بلد آخر، واسترعى جلالته الانتباه إلى تهديد حياة العرب، وتفاقم الأزمة الناتجة عن استمرار الهجرة اليهودية، وشراء اليهود الأراضي العربية وزاد على ما تقدم: "إن العرب يختارون الموت على أن يسلموا بلادهم لليهود..."٢٩

وفي نفس المسار يلقن الملك عبد العزيز رحمه الله - انطلاقاً من شعوره بمسئوليته تجاه دينه وأمته ووطنه - أس الغدر والخيانة وسليل مبتاعي الذمم، والنفوس المريضة درساً في العزة والإباء والكرامة أوقفه عند حده، وعرفه قدره وجعله يفر وله ضراط، ذاك هو الدكتور "وايزمن" صاحب المؤامرات، الذي سلك كل السبل القذرة لإقامة الكيان اليهودي في قلب العالم وفي موقع استراتيجي سيظل بؤرة الفساد إلى أن يأذن الله بزواله وهو أمر حاصل لا محالة.

وقد أورد الزركلي رد الملك عبد العزيز رحمه الله على الرئيس الأمريكي في هذا الموضوع ونصه: "وأما ما ذكر فخامته من جهة مقابلتي للدكتور حاييم وايزمن فأحب أن يعلم فخامة الرئيس بأننا نقابل كل من يأتي إلينا من جميع الأديان بكل ترحاب مع القيام بالواجب لهم حسبما يقتضيه مقامهم من الإكرام، أما اليهود بصورة خاصة فلا يخفى على الرئيس ما بيننا وبينهم من عداوة سابقة ولاحقة وهي معلومة ومذكورة في كتبنا التي بين أيدينا ومتأصلة من أول الزمان، فمن هذا يظهر جلياً أننا لا نأمن غدر اليهود، ولا يمكننا البحث معهم أو الوثوق بوعودهم.

أولاً: لأننا نعرف نواياهم نحو العرب والمسلمين.

وثانياً: لأننا لم نتصل بالعرب لنعرف رأيهم.

وكما ذكرنا فيما تقدم إذا رغب فخامته أن تقوم باستمزاجهم واستطلاع رأيهم فنحن نقوم بتحقيق تلك الرغبة حينئذ.

"أما الشخص الذي هو الدكتور "وايزمن" فهذا الشخص بيني وبينه عداوة خاصة، وذلك لما قام به نحو شخصي من جرأة مجرمة بتوجيهه إليّ من دون جميع العرب والإسلام تكليفاً دنيئاً لأكون خائناً لديني وبلادي، الأمر الذي يزيد البغض له ولمن ينتسب إليه وهذا التكليف قد حدث في أول سنة من هذه الحرب، إذ أرسل إليّ شخصاً أوربياً معروفاً يكلفني أن أترك مسألة فلسطين، وتأييد حقوق العرب والمسلمين فيها، ويسلم إليّ عشرين مليون جنيه مقابل ذلك. وأن يكون هذا المبلغ مكفولاً من طرف فخامة الرئيس روزفلت نفسه، فهل من جرأة أو دناءة أكبر

---

٢٧ شبه الجزيرة 1176/3.

٢٨ بعثة إلى نجد (84).

٢٩ شبه الجزيرة 1164/3 1165.

من هذه؟ وهل من جريمة أكبر من هذه الجريمة يتجرأ عليها هذا الشخص بمثل هذا التكليف ويجعل فخامة الرئيس كفيلاً لمثل هذا العمل الوضيع!!

" إني لا أشك بأن فخامة الرئيس روزفلت لا يقبل هذا لا في حقي ولا في حقه فهذه من جملة الأسباب التي أريد أن تعرضوها على فخامة الرئيس حتى يرى إلى أي حد يتجرأ اليهود للوصول إلى غايتهم الباطلة، وينظر برأيه السديد في هذه الأعمال التي يغني بيانها عن وصفها"٣٠.

هكذا يُشخِّص الملك عبد العزيز رحمه الله هذا الداء العضال، وهو تشخيص ينمُّ عن وعي تام وفراسة إيمانية عجيبة، فقد جاءت كل الأحداث والدراسات والأبحاث تؤيد هذا التشخيص، وليت العالم يعي نصح الناصحين وإنذار المخلصين٣١.

العنصر السابع: الفقه في الدّين، والثقافة الواسعة، والوعي بقضايا العصر

لقد تصدى الملك عبد العزيز رحمه الله لبناء دولة، وإحياء أمة، وتعامل مع العالم العربي، والإسلامي، والدولي، وحالفه النجاح في ذلك كله رغم التحديات الكبيرة التي واجهها، وكان من أهم عوامل النجاح الذي حققه ما كان يتمتع به من فقه في الدين، وثقافة واسعة، ووعي بمجريات العصر، وفي الأقوال التالية ما يؤكد ذلك، وهي جزء من كل، وقليل من كثير:

فهو فقيه في الدين، على دراية كاملة بما هو دين حق، وبما هو خارج عن فقه الكتاب والسنة أو عما ذهب إليه فقهاء الأمة المعتبرون، يؤمن بأن سلامة الأمة في السير على هدي الكتاب والسنة، ويدعوها إلى فهم ذلك، والعمل به والتحاكم عند الاختلاف إليه.

يقول في كلمة له: "الإسلام معناه الاستسلام لله تعالى، والطاعة له، والإيمان بكتابه ورسوله، وقواعدُ الإسلام قائمةٌ على كتاب الله، وسنة رسوله، وأعمال الخلفاء الراشدين وما اتفق عليه الصحابة الكرام وما جاء به فيما بعد الأئمة الأربعة فهي حق لا نحيد عنه قط... ومن المسائل التي يجب أن نعمل بها في هذا الشأن، وتعد في طليعة خدمة الدين الحنيف هي تطهير الإسلام من أدران الخلافات التي علقت بالدين، وهو بريء منها وإنما ألصقها فيه أناس نفعيون يبتغون من وراء ذلك النفع المادي.

... ورابطة الإسلام هي خير واسطة للتآلف، والتعارف، فالواجب علينا أن نتمسك به، وأن نعمل بما أمرنا به لننال الفوز في الدنيا والآخرة.

يقولون "الحرية". ويدعى البعض أنها من وضع الأوربيين، والحقيقة أن القرآن الكريم قد جاء بالحرية التامة الكافلة لحقوق الناس جميعاً وجاء بالإخاء "والمساواة" المطلقة التي لم تحلم بها أمة من الأمم فآخى بين الصغير والكبير، والقوي والضعيف، والغني والفقير، وساوى بينهم.

ويقولون "التمدن" "والمدنية الأوربية" هي الغاية القصوى، وهذا وهم باطل فإن الله جعل من كل شيء أفضله مباحاً لنا، وأحب شيء إلينا هو العمل الخالص، والنية الحسنة، والإخلاص في العمل وهو أكبر سلاح لنا فيجب أن نعمل على طاعة الله بإخلاص٣٢.

وفي المؤتمر الوطني سنة 1350هـ يقول: " إن الناس الذين لا نشك أن الله عالم بقلوبهم وأنهم أعداء بعضهم البعض، كما قال الله تعالى: **{تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى}**٣٣ قد بلغوا بالشورى مراتب عالية في الدنيا ونحن المسلمين أمرنا الله تعالى بالمشورة، والمشورة لها أساس وهو النصح بالتزام الحق، ولها مزية ورونق تحصل بهما الفائدة، أما السير على غير مشورة فهو مجلبة للنقص، مجلبة للهوى - هوى النفس - ونحن نريد المشورة أن تجمع بين السنة وبين ما أمرنا الله به في قوله تعالى **{وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ}**٣٤.

وأعظم القوى التناصح والنية الصالحة لأن كل شيء أساسه الإخلاص والنصح هذا هو اجتهادنا في المسألة، ونسأله تعالى العناية والتوفيق وإصلاح النِّية وأن يوفقنا إلى ما فيه الخير والفلاح٣٥.

وعند استقباله أول دفعة من خريجي المعهد العلمي سنة 1350هـ ألقى فيهم كلمة توجيهية جاء فيها: "وأقول لكم والله ثم والله ثم والله ما حرمت الشريعة شيئاً فيه نفعنا ولا أحلت شيئاً فيه ضرنا وإن النظرة السليمة لتدرك ذلك.. انظروا إلى نعم الله هل فاضل في أحكامه بين غني وفقير؟... لا لا تفاضل إلا بالتقوى.. سوَّى بينكم وأكبر من شأنكم فأمر ألا تعبدوا إلا واحداً، ولا تخافوا إلا واحداً، ولا تسألوا إلا واحداً، ومعلوم أن أرباب النفوس العالية إذا كان لها عند ملك من الملوك حاجة تحب أن تدلي بحاجتها إلى الملك بلا واسطة، والله يأمر عباده أن يسألوه بلا واسطة ولاشك في أن هذا - أي عدم الواسطة - تكريم لك أيها الإنسان"٣٦.

---

٣٠ شبه الجزيرة 1142/3.

٣١ انظر الحاشية رقم (35) و"التلمود تاريخه وتعاليمه" "إيللي كوهين من جديد" و"الرؤية العربية لليهودية"، و"أسرار إسرائيل وحقيقتها عشرة كتب.." و"التحدي الصهيوني" و"سقوط الجولان" ومجلة البعث الإسلامي عدد (10) (ص75)، جذور البلاء.

٣٢ المصحف والسيف (61،62).

٣٣ سورة الحشر آية (14).

٣٤ سورة الأنفال آية (60).

٣٥ المصحف والسيف (66).

٣٦ المصحف والسيف (71 - 72).

وفي كلمة له يقول: "أتعرفون ما دمّر الدين وأكثر الفتن بين المسلمين؟.. لم يكن ذلك إلا من اختلاف المسلمين وعدم اتفاق كلمتهم.. وإذا أعدنا النظر إلى أيام الإسلام الأولى وما افتتحوا من أقطار وما كسروا من أصنام، وما نالوا من خير عميم.. نجد أن هذا كله ما حصل إلا باجتماع الكلمة على الدين، والإخلاص في العمل، والخلوص في النية. المسلمون منّ الله عليهم بالإسلام واجتماع الكلمة، ولكن لما تفرقوا انخذلوا وسلط الله أعداءهم عليهم، وإذا رجع المسلمون إلى تعاضدهم، وتكاتفهم رجع إليهم عزهم ومجدهم السالف، وقد قال تعالى: **{إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ}** ٣٧ والقضاء كائن لا محالة ولما تناصح المسلمون بلغوا أوج السماء، ولما تخالفوا كانوا بهذا الشكل الذي نأسف له، والنفس أمارة بالسوء، ولربما أن أحد الناس عرف ذلك وضيعه، والثاني عرف الدين وعمل به وعلم الله ما بقلبه فجعل العقبى خيراً له.

المسلمون اليوم قائمون من نوم وغفلة فيجب عليهم أخذ سلاحهم والسلاح سلاحان.. أما سلاح العدة من طيارات وما إليها فهذا ما لا يستطيع المسلمون أن يستحوذوا على مقادير منها بقدر ما استحوذ عليه أعداؤهم إلا أن يشاء الله.

أما السلاح الثاني - وهو الأعظم - فالذي أوصي به نفسي، وأوصيكم به، وهو التقوى والاعتصام بحبل الله جميعاً، فإذا علمتم ذلك نلتم العزة في الدنيا، والعفو في الآخرة، ورحمة الله وسعت كل شيء، ولا صلاح لهذه الأمة إلا بما صلح به أولها وكل طريق غير ذلك لا يفيد"٣٨.

وفي كلمة له أمام كبار رجال الدولة سنة 1351هـ في الطائف يقول: "إني أريد أن أوضح لكم ما في ضميري، فإن كان صواباً فمن الله، وإن خطأ فمن نفسي والشيطان، والإنسان ينظر للأمور بقدر معرفته لها، فمنهم من يتحققها ببصيرة تامة ونظر ثاقب، ومنهم من يبصرها ولا يتدبرها، ومنهم من لا يبصرها ولا يعرفها. أمّا نحن فلا عز لنا إلا بالإسلام ولا سلاح لنا إلا التمسك به وإذا حافظنا عليه حافظنا على عزنا وسلاحنا، وإذا أضعناه ضيعنا أنفسنا وبؤنا بغضب من الله.. وأما الأمور العصرية التي تعنينا وتفيدنا ويبيحها دين الإسلام فنحن نأخذها ونعمل بها ونسعى في تعميمها، أما المنافي منها للإسلام فإننا ننبذه ونسعى جهدنا في مقاومته، لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ولا مدنية أفضل وأحسن من مدنية الإسلام ولا عز لنا إلا التمسك به"٣٩.

وفي كلمة له رحمه الله سنة 1351هـ يقول: "لقد تفشّى الجهل، وساد التخاذل بين المسلمين، فوصلنا إلى ما وصلنا إليه من الحالة الراهنة التي تعرفونها، ولم يبق من الدين إلا اسمه، وتفرقنا أيدي سبأ، وأصبح المسلمون فرقاً وشيعاً.

أما أولئك الذين يطبلون ويزمرون لحضارة الغرب ومدنيته، ويريدون منا أن ننزل عندها، فنتمثلها في بلادنا وبين أقدامنا، فإننا نسوق إليهم الحديث بتوجيه أنظارهم إلى هذه الأزمة الخانقة، وإلى هذا التبلبل السياسي، وإلى هذه الفوضى الاجتماعية السائدة في تلك البلاد، فإنّ نظرة واحدة لمن يتدبر في هذه الأوضاع السائدة هذه الأيام تجعله يلمس فساد تلك النظريات المتسلطة على عقول السذّج من المسلمين والعرب.

أما المسائل الصناعية والزراعية فإن أوامر الله تعالى ونبيه صريحه بالأخذ بها وكذلك في أعمال رجال السلف الصالح أكبر دليل على العناية بها والأخذ بأسبابها ولذلك فالقول بأن الصناعة والزراعة هما من نتاج الحضارة الغربية وحدها ليس بصحيح وكذلك الطيارات، والدبابات، والمدافع، والأعتاد الحربية التي تدافع بها الأمم عن نفسها، وتذود بها عن حياضها هي من الأعمال الصناعية أيضاً، ومما أمر الله به صراحة فقال في كتابه العزيز: **{وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ}** ٤٠.

ويقول رحمه الله في كلمة ألقاها عام 1352هـ أمام كبار الحجاج: "... فالنصح لله هو عبادته وحده لا شريك له، أما النصيحة لكتاب الله فهو التصديق بما فيه والعمل بحكمه، وأما النصيحة لرسوله صلى الله عليه وسلم فهي الإيمان بجميع ما جاء به وطاعته في أمره ونهيه والتخلق بأخلاقه ومجانبة من ابتدع في سنته.. أما النصيحة لأئمة المسلمين فهي معاونتهم على الحق وطاعتهم، والدعاء بأن يوفقهم الله لما فيه خير المسلمين في الظاهر والباطن.. والنصيحة لعامة المسلمين هي أن المسلم لا يكون مسلماً حقاً حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ويعمل للناس ما يريد أن يعملوه معه.

فهذا علمنا، وهذا فهمنا، إن الخير كل الخير في طاعة الله ورسوله، والتأسي بأخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم فالله سبحانه وتعالى أرسل الرسول بشيراً ونذيراً ورحمة لهذه الأمة لذلك وجب على كل مسلم محبة رسول الله وأصحابه، والذب عنهم بالأقوال والأفعال..

رابطة الإسلام جامعة قوية ولكن المسلمين فرقهم التخاذل فتفرقوا شيعاً"٤١.

وفي كلمة له سنة 1353هـ يقول: "... إن حبل الله عز وجل هو كلمة "لا إله إلا الله" إذ لا

---

٣٧ سورة الرعد آية (11).
٣٨ المصحف والسيف (111).
٣٩ المصحف والسيف (80).
٤٠ سورة الأنفال آية (60) وانظر المصحف والسيف (84).
٤١ المصحف والسيف (87،89).

معبود سواه فهو الأول والآخر، وعبادته باتباع ملة إبراهيم قال تعالى في كتابه العزيز: **{وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً}**٤٢، فمن واجب الإنسان أن يعمل بما أمر الله به، وأن يطيع مولاه صاحب النعمة عليه، ولا يكون ذلك إلا بالعمل بما جاء في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

وقد أرسل الله الرسل لهداية الأمم والشعوب، وإنقاذهم من الضلالة، وكانت هداية نبينا صلى الله عليه وسلم أن أرسله الله جلّ شأنه في أحسن القرون، وأن بعثه إلى أقدم الأمم، وقد أزال الله ببعث النبي الكريم الشُّبه والضلال فكانت بركة الله ثم بركة رسوله علينا عظيمة لا تعد ولا تحصى.

وقد أمرنا الله تعالى على لسان نبيه بأمور عظيمة الشأن لو عملنا بها لكان حالنا اليوم غير ما نرى. لقد جعل أركان الدين الحنيف خمسة وهي: ... فالله سبحانه وتعالى يأمرنا بالعمل بها مع الإخلاص النقي، والنية الحسنة، فإذا صدعنا بأوامره - جلُّ شأنه - كفّر عن ذنوبنا، وأولانا نعماءه، فإذا فهمنا ذلك وعلمنا أن الخير بحذافيره فيما أمرنا الله، وجبت علينا طاعته، وطاعته كما قلت هي الاعتصام بحبل الله، وذلك باجتماع المسلمين، وتعاضدهم، وتكاتفهم بأن يكونوا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً، ولكننا أضعنا أوقاتنا في شقشقة بدون فائدة، لقد تراشقنا بالكلام فتنابذنا، فكانت الفرقة هذه، وكان الهوان ولو تركنا هذه الأمور، التي لا طائل تحتها لكانت رحمة ربي علينا عظيمة يجب أن نعبد الله ونطيعه كي يوفقنا فعلى كل إنسان أن يحاسب نفسه فيتجنب المعاصي والمنكرات ويتبع أوامر الله عز وجل"٤٣.

وفي سنة 1354هـ وأمام كبار الحجاج يقول رحمه الله في كلمة عجيبة له تدل على فقه وفهم في الدين، وثقافة واسعة وتدل أيضاً - مع مثيلات كثيرات لها - على أن الملك عبد العزيز رحمه الله قد عمل على إعادة صياغة العقل المسلم بما يتفق مع الفهم الصحيح للدين، ومقتضيات العصر، وهو بهذا يكون قد سبق بزمن طويل أصحاب الطروحات التي تناولت هذا الموضوع أخيراً وهو موضوع لاشك مهم، والأمة في أمس الحاجة إليه.

يقول: "الإسلام شريعة سمحة لا غلو فيه، اختاره الله للمسلمين من بين الشرائع وفضّله على جميع الملل. دين الإسلام دين الإنسانية والسماحة، ولقد أرسل الله رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم بأشرف الكتب لخير الأمم، فكتاب الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ولقد أعز الله الإسلام بالسنة المحمدية فما في كتاب الله تؤيده السنة، وما في السنة يؤيده الكتاب.

والمسلم لا يكون إسلامه صحيحاً إلا إذا أخلص العبادة لله وحده، فيجب أن يتدبر المسلمون معنى (لا إله إلا الله) فإن (لا إله) نفي لكل معبود فيما سوى الله (إلا الله) إثبات العبادة لله وحده فيجب على الإنسان ألا يشرك مع الله في عبادته نبياً مرسلاً ولا ملكاً مقرباً ويجب أن يتبع المسلمون القول بالعمل... أما القول المجرد فلا يفيد، وما الفائدة في رجل يقول (لا إله إلا الله) ولكن يشرك مادون الله في عبادته... دين الله مكتوب في الكتاب والسنة فكل عمل اتفق مع الكتاب فهو الحق، وكل عمل خالف الكتاب والسنة فهو الباطل..

إن سورة الفاتحة التي يرددها المسلم في صلواته فيها ما لو تدبره المسلم لما كان يقول شيئاً ويعتقد خلافه، يجب على المسلم أن يتبع قوله بالعمل، وقراءة الكتاب والسنة بالاعتقاد الصحيح، أما الأقوال بغير الأعمال فهذه من صناعة الشيطان.

يجب أن يعتبر المسلمون من حالهم اليوم، فإنهم لم يصلوا إلى ما هم عليه الآن إلا من كثرة أقوالهم وعدم أعمالهم.

إن العمل هو أساس النجاح.. إن العقيدة الصحيحة هي أساس الفلاح يجب على المسلمين عموماً، والعرب خصوصاً أن يتدبروا الموقف ويرجعوا إلى ربهم ويحذروا مكره فإنه - جلّ وعلا - مدح مكره فقال: **{وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ}** ٤٤، ويجب على المسلمين أن يقلعوا عما هم فيه، فإذا فعلوا فسيغفر الله لهم... لقد غفر الله من أعمال عمر في الجاهلية حتى غدا الفاروق في الإسلام، وغفر لخالد بن الوليد حتى أصبح سيف الله في أرضه، إن العبرة بالنية الصادقة، فإذا صدق المسلمون في نيتهم فبشرهم برحمة من الله وفضل.. كثيراً ما تلوك ألسنة المسلمين **{إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}**٤٥ وهذا الكلام صحيح ولكن ألم يأتهم نبأ قوله تعالى: **{إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}**٤٦ إن الله غفور رحيم لمن تاب وآمن وعمل صالحاً، أما من يستمر في طغيانه، ويصر على كفره فسيناله عقاب ربه.. إنني أرجو من المسلمين أن يرجعوا إلى كتاب الله سنة رسوله.. وهذا هو ديننا... وهذا هو معتقدنا.. نقاتل من أراد أن ينال ديننا أو وطننا بأذى.

يقول كثير من المسلمين: "يجب أن نتقدم في مضمار المدنية والحضارة، وأنّ تأخرنا ناشئ عن عدم سيرنا في هذا الطريق" وهذا ادعاء باطل، فالإسلام قد أمرنا بأخذ ما يفيدنا ويقوينا على شرط ألا يفسد علينا عقائدنا وشيمتنا فإذا أردنا التقدم فيجب أن نتبع الإسلام وإلا كان الشر كل الشر في اتباع غيره.

---

٤٢ سورة النساء آية (125).

٤٣ المصحف والسيف 92.

٤٤ سورة آل عمران آية 54.

٤٥ تكرر ورودها في آيات كثيرة منها في سورة المزمل آية (20).

٤٦ تكرر ورودها في آيات كثيرة منها في سورة آل عمران آية (11).

إن المدنية الصحيحة هي التقدم، والرقي، والتقدم لا يكون إلا بالعلم والعمل، إن حالة المسلمين اليوم لا تسر، وإن الحالة التي هم عليها لا يقرها الإسلام يجب على المسلمين أن يتدبروا موقفهم جيداً ويعملوا لتطهير قلوبهم من الأدران التي علقت بها، فإن الموقف دقيق، والله ينصر من أراد نصرة دينه **{وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ}**٤٧.

إن الفرقة أول التدهور والانخذال، بل هي العدو الأكبر للنفوس، والغاوية للبشر والإتحاد والتضامن أساس كل شيء، فيجب على المسلمين أن يحذروا التفرقة وأن يصلحوا ذات بينهم، ويبذلوا النصيحة قالوا: لمن؟ قال: لله، ولكتابه ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، فهذا الحديث دستور أخلاقي عظيم من واجب كل مسلم العمل به لأن في اتباعه صلاحاً لأحوال المسلمين فيزدادون منعة، ونحن نحمد الله على أننا بدأنا نشعر بمثل هذه الروح السامية، تدبُّ في نفوس المسلمين، فيعملون على درء كل خطر، ومنع أسباب التخاذل، فنرجوه سبحانه وتعالى أن يمن علينا بالاتفاق والاتحاد فإن الله سبحانه وتعالى قد منّ على المسلمين بأوامر، ونواه، وفرض عليهم الفرائض ولم يأمر - جل وعلا - بأمر إلا وجعل الفوائد بحذافيرها فيه، ولم ينه عن شيء إلا وجعل الشر بحذافيره فيه، ومن أعظم الأوامر توحيد الله - جل وعلا - توحيداً منزهاً عن الشرك إن الله لم يجعل بينه وبين أحد من خلقه واسطة فهو يقول **{ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ}**٤٨.. إن الخير كله في الاجتماع، والشرَّ كله في التفرقة، فالاجتماع، والتضامن أساس كل عمل ومحور كل نهوض. نسأل الله أن يعز دينه، ويعلي كلمته، ويؤيد المسلمين بروح منه"٤٩.

وفي كلمة له في جدة عام 1355هـ لوجهاء المنطقة وأعيانها ألقى كلمة ضمنها شرحاً لأركان الإسلام الخمسة شرحاً يدل على فقه وفهم، وتناول قضايا أخرى أشير إليها في غير هذا المكان ومما جاء في هذه الكلمة قوله: "... كل هذه من نعم الإسلام أنعم الله بها على المسلمين، فيجب على الإنسان أن يتقبل نعم الله بالشكر، لأن الله ليس في حاجة إلى عبادتنا وصيامنا وجميع أمور ديننا بل هو غنيٌّ عن كل ذلك وعن العالمين٥٠.

وفي حج عام 1355هـ ألقى كلمة في حجاج الهند جاء فيها: "الحقيقة أن الإسلام هو اتباع كتاب الله تعالى، وما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، ويقول تعالى: **{فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً}**٥١ **{وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ}** ٥٢ وليس هناك شيء أجل من نعمة الإسلام على الإنسان فقد قال تعالى: **{الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْأِسْلامَ دِيناً}**٥٣ فتمام النعمة هو كتاب الله تعالى الذي شرع به الإسلام، وأول ما يلزمنا من الإسلام هو كلمة الشهادتين، ومعنى الشهادة "لا إله إلا الله" أنها تفيد إثبات وحدانيته سبحانه وتعالى، ومعنى أن "محمداً رسول الله".. أن نحب الرسول صلى الله عليه وسلم ونصدقه ونؤمن به ونعمل بما قال، وكلام الرسول لا ينافي القرآن، والقرآن لا ينافي كلامه صلى الله عليه وسلم بل كل منهما يتمم الآخر.

والحقيقة أنه لا يوجد إنسان غير مذنب لأن العصمة لله وحده ولو لم تذنبوا لخلق الله عباداً يذنبون فيستغفرون فيغفر الله لهم ولكن الذنوب على جملة درجات منها ما لا يمكن معه صفح أو غفران، وهي الشرك بالله، والكذب على رسول الله، وكل إنسان يرى أن هناك أية حجة أو قوة أخرى أقوى من الكتاب والسنة فقد فقد افترى على الله الكذب، والحمد لله الذي وفقنا - نحن المسلمين - إلى تفهم معنى شهادة أن "لا إله إلا الله" وهي تتضمن نفي معنى الشرك، وإثبات العبادة له سبحانه وتعالى ونهي لما نهانا عنه، وهو ما خلق الجن والإنس إلا ليعبدوه، تعالى الله عما يصفون، ونحمده تعالى على أنه جعل هذه الأحكام لطفاً منه بنا، والإنسان إذا كان مسلماً يضع لنفسه نظاماً يسير بمقتضاه، فما يخالف كتاب الله أو سنة رسوله فذلك هو الضلال المبين نعوذ بالله منه، ومن أعظم ما يثبت علينا ديننا هو تمسكنا بالشهادتين وبمعناهما الصحيح من إثبات العبودية لله، والإيمان بنبيه ورسوله الذي نجده أحب إلينا من أنفسنا وأموالنا وعيالنا ويجب أن نقيم الصلاة، ونؤتي الزكاة ونصوم رمضان ونحج البيت ما استطعنا إليه سبيلاً.

أما أحكام المذاهب فلسنا نخالفها في شيء وهي مذاهبنا جميعاً، من مذهب الحنفي، والشافعي، والمالكي، والحنبلي، ومذهبنا هو اتباع الدليل حيث يكون، فإن فقد الدليل ولم يكن هناك إلا الاجتهاد اتبعنا ابن حنبل وما جاء في الكتاب والسنة، ونحب المسلمين جميعاً، ونرجوا لهم الخير والفلاح والسعادة، ونرجو من الله سبحانه وتعالى أن ينصر دينه، ويعلي كلمته، ويجمعنا على كلمة "لا إله إلا الله محمد رسول الله" إنه سميع قدير".

وفي نفس السنة وفي نفس المناسبة أمام الحجاج العرب يقول رحمه الله: "إن الله جعل للإنسان بصيرة يميز بها بين الحق والباطل، وقد أراه الطريق واضحاً، ومن فضل الله على الإنسان،

---

٤٧ سورة الروم آية (47).
٤٨ سورة غافر آية (60).
٤٩ المصحف والسيف (95 97).
٥٠ المصحف والسيف (102).
٥١ سورة النساء آية (65).
٥٢ سورة المائدة آية (44).
٥٣ سورة المائدة آية (3).

وهو فقير عاجز أن سلط عليه نفسه والشيطان وجعل في مقابلها الإنعام عليه بالقبول، والرجوع بحيث يفيء الإنسان إلى ربه ويمشي على الصراط المستقيم، وقد جعل الله في جوارح الإنسان طبيعة اقتراف الذنوب، وفي مقابل ذلك منَّ الله عليه بنعمة التوبة والاستغفار، وهذا والحمد لله من عنايته ولطفه بالفقراء والمساكين"[٥٤].

وفي سنة 1356هـ وفي حفل تكريمي للحجاج ألقى كلمة جاء فيها بعد أن شرح الفاتحة شرحاً عجيباً يدل على علم ووعي، قال: "فيجب أن نؤمن بكتاب الله وبمتشابهه، ونؤمن بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، ومن الناس من يقول آمنا ولكنهم يسبون أهل بيته، ويسبون عمراً وعثمان وأصحابه، وكيف ذلك وقد قال صلى الله عليه وسلم: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي" ولا نستطيع أن نفعل ذلك إلا باتباع سنة رسول الله، والسلف الصالح من الذين هاجروا مع النبي صلى الله عليه وسلم وجاهدوا في سبيل الله فكل إنسان لا يحب الله وكتابه ورسوله فهو ضال، والكلام في هذا يطول وأنا لست بعالم ولكن الحق برهان، والذي نمشي عليه هو طريق السلف الصالح، ونحن لا نكفر أحداً إلا من كفره الله ورسوله، وليس من مذهب سوى مذهب السلف الصالح ولا نؤيد بعض المذاهب على بعضها فأبو حنيفة، والشافعي، ومالك، وابن حنبل أئمتنا ومن وجدنا الحديث الصحيح معه اتبعناه، فإن لم يكن هناك نص، وإنما هو الاجتهاد في الفروع فنتبع اجتهاد أحمد بن حنبل والأصل كتاب الله وسنة رسوله لا نفضل أحداً على أحد ولا كبيراً على صغير **{إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}** [٥٥]، ولا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى، وهل يقبل العقل أن هناك من هو أفضل من محمد صلى الله عليه وسلم، وأن هناك قبيلة أعز من قبيلة محمد صلى الله عليه وسلم وهي قريش، ولكن النسب لا يغني عن الإنسان شيئاً، ولولا ذلك ما عزّ سلمان الفارسي، وبلال، وما لعن أبو جهل وأبو لهب، والفضيلة في الدين والرجال، والعزة بالله لا بالحسب والنسب ... والتقى ليس مجرد السجود، ولكن بالتفرقة بين الحق والباطل، فالإنسان منكم حين يدخل السوق لمشتري متاعه كيف يفرق بين الطيب والخبيث؟.. فإذا كان يفعل ذلك في أغراضه البسيطة فيجب أن يفعله في بدنه ونفسه فما الإنسان إلا جيفة قذرة تحمل العذرة في عظام نخرة.

ومن قال "أشهد أن لا إله إلا الله" ولم يقل "وأشهد أن محمداً رسول الله" لا تقبل منه، وكل إنسان يدعو ولا يصلي على الرسول فهو ضال، وكل من لا يرجو شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة، ومعنى طلب الشفاعة أن تقول يا رب محمد شفّع فينا رسولك محمداً، ولا يشفعون إلا لمن ارتضى، وكلنا نسأل الله سبحانه وتعالى أن يشفع فينا رسوله الكريم.

يقولون "التمدن" و"الحرية" وهل هناك أعظم من التمدن الذي ورد في كتاب الله من اتباع كل خير وتجنب كل شر؟ وهل هناك حرية أكثر من قوله صلى الله عليه وسلم "لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى".

أيها الإخوان:

إنكم قد أتيتم من بلاد بعيدة، وضربتم في البحر ترجون رحمة الله، وهي قريبة إذا رجوتموها، وهذا الخير والرحمة، وليس لكم عندي إلا ثلاثة أمور:

الأول: النصيحة فيما يوافق كتاب الله وسنة رسوله.

والثاني: أنّي أشفقُ عليكم من أهلكم وعيالكم، وأرجو الله سبحانه وتعالى أن يتقبل منكم.

والثالث: أن أسهر على مصالحكم، وأرعى شؤونكم، نسأل الله أن ينصر دينه، ويعلي كلمته ويؤيد الإسلام، ويوفق المسلمين إلى ما يحبه ويرضاه"[٥٦].

وألقى الملك عبد العزيز رحمه الله سنة 1359هـ كلمة في كبار الحجاج جاء فيها: "إن الأمر لله وما تشاءون إلا أن يشاء الله، والأيام كلها عبر للمعتبر، وعلى المسلمين أن يتفكروا في عبر الزمان، وانظروا كيف أن أوربا العظيمة بمدنيتها التي أقامتها أصبح ما أعدوه ضد مدنيتهم ولخرابها.

وهذا الموقف يسترعي الانتباه التام فإذا نظرنا للحال الواقع نرى أن دهاة أوربا ورجال سياستها بقوتهم وعقولهم ما تمكنوا أن يدفعوا الشر عن أنفسهم والشر لم يتول عنهم ذلك قضاء الله وقدره لم تنفع فيه حيل السياسة ولا نفعت المدنية إن كل إنسان يجب ألا يقف هذا الموقف وأن يكون في نجوة عن هذا النزاع لذلك يجب على المسلمين عامة والعرب خاصة أن يتمسكوا بعرى الإسلام حتى لا تذهب ريحهم وأهم ما يجب عليهم القيام به هو معرفة الله ونصر الله، قال تعالى: **{إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ}** [٥٧].

---

٥٤ المصحف والسيف (107 108).
٥٥ سورة الحجرات آية (13).
٥٦ المصحف والسيف (114 115).
٥٧ سورة محمد آية (7).

ويجب على المسلمين أن يتفقوا ويتناصحوا في ظاهر الأمور وباطنها، وهذا لا يكون إلا بالعناية الشديدة بالإصلاح، وبنفوس طيبة، لأن الدعوة ولو كانت عظيمة وظاهرها كبير فلا تفيد إلا بالنية الصالحة إنما الأعمال بالنيات"٥٨.

وأعلن رحمه الله بياناً سنة 1356هـ حول موضوع خطير كان ولا زال وسيبقى إلى أن تقوم الساعة محل تحد وصراع بين قوى الخير والشر، وبين أهل العفة والطهر، وأهل الخنى والفساد ذلك هو موضوع المرأة وقد جاء في هذا البيان ما لا مزيد عليه كما أن الأحداث قد أثبتت سلامة نهجه رحمه الله نحو هذا الموضوع، وهو نهج مستمد من تشريع الله رب العالمين الذي خلقهم ويعلم ما ينفعهم وما يضرهم.

يقول رحمه الله: "أقبح ما هنالك في الأخلاق، ما حصل من الفساد في أمر اختلاط النساء بدعوى تهذيبهن، وفتح المجال لهن في أعمال لم يخلقن لها، حتى نبذن وظائفهن الأساسية من تدبير المنزل وتربية الأطفال، وتوجيه الناشئة الذين هم فلذات أكبادهن وأمل المستقبل إلى ما فيه حب الدين والوطن، ومكارم الأخلاق، ونسين واجباتهن الخلقية من حب العائلة التي عليها قوام الأمم، وإبدال ذلك بالتبرج والخلاعة، ودخولهن في بؤرات الفساد والرذائل، وادعاء أن ذلك من عمل التقدم والتمدن فلا والله ليس هذا (التمدن) في شرعنا وعرفنا وعاداتنا، ولا يرضى أحد في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان وإسلام ومروءة أن يرى زوجته أو أحداً من عائلته، أو من المنتسبين إليه في هذا الموقف المخزي.

هذه طريق شائكة، تدفع بالأمة إلى هوة الدمار، ولا يقبل السير عليها إلا رجل خارج عن دينه، خارج عن عقله، خارج من تربيته.

فالعائلة هي الركن الركين في بناء الأمم، وهي الحصن الحصين الذي يجب على كل ذي شمم أن يدافع عنها.

إننا لا نريد من كلامنا هذا التعسف والتجبر في أمر النساء، فالدين الإسلامي قد شرع لهن حقوقاً يتمتعن بها لا توجد حتى الآن في قوانين أرقى الأمم المتمدنة، وإذا اتبعنا تعاليمه كما يجب فلا نجد في تقاليدنا الإسلامية، وشرعنا السامي ما يؤخذ علينا ولا يمنع مع تقدمنا في مضمار الحياة والرقي، إذا وجّهنا المرأة إلى وظائفها الأساسية وهذا ما يعترف به كثير من الأوروبيين من أرباب الحصافة والإنصاف ولقد اجتمعنا بكثير من هؤلاء الأجانب واجتمع بهم كثير ممن نثق بهم من المسلمين وسمعناهم يشكون مرّ الشكوى من تفكك الأخلاق، وتصدع ركن العائلة في بلادهم من جراء المفاسد، وهم يقدرون لنا تمسكنا بديننا، وتقاليدنا، وما جاء به نبينا من التعاليم، التي تقود البشرية إلى طريق الهدى، وساحل السلامة، ويودون من صميم أفئدتهم لو يمكنهم إصلاح حالتهم هذه، التي يتشاءمون منها، وتنذر ملكهم بالخراب، والدمار، والحروب الجائرة، وهؤلاء نوابغ كتابهم ومفكريهم، قد علموا حق العلم هذه الهوة السحيقة التي أمامهم والمنقادين إليها بحكم الحالة الراهنة، وهم لا يفتأون في تنبيه شعوبهم بالكتب والنشرات والجرائد على عدم الاندفاع في هذه الطريق التي يعتقدونها سبب الدمار والخراب.

إنني لأعجب أكبر العجب ممن يدعي النور والعلم، وحب الرقي لبلاده من الشبيبة التي ترى بأعينها وتلمس بأيديها، ما نوهنا عنه من الخطر الخلقي الحائق بغيرنا من الأمم ثم لا ترعوي عن ذلك وتتابرى في طغيانها وتستمر في عمل كل أمر يخالف تقاليدنا وعاداتنا الإسلامية والعربية، ولا ترجع إلى تعاليم الدين الحنيف الذي جاءنا به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم رحمة وهدى لنا ولسائر البشر.

فالواجب على كل مسلم وعربي فخور بدينه معتز بعربيته ألا يخالف مبادئه الدينية وما أمر به الله تعالى بالقيام به لتدبير المعاد والمعاش، والعمل على كل ما فيه الخير لبلاده ووطنه، فالرقي الحقيقي هو بصدق العزيمة والعلم الصحيح، والسير على الأخلاق الكريمة، والانصراف عن الرذيلة، وكل ما من شأنه أن يمس الدين، والسمت العربي والمروءة، والتقليد الأعمى، وأن يتبع طرائق آبائه وأجداده، الذين أتوا بأعاظم الأمور، باتباعهم أوامر الشريعة التي تحث على عبادة الله وحده، وإخلاص النية في العمل، وأن يعرف حق المعرفة معنى ربه، ومعنى الإسلام وعظمته، وما جاء به نبينا ذلك البطل الكريم والعظيم صلى الله عليه وسلم من التعاليم القيمة، التي تسعد الإنسان في الدارين، وتعلّمه أن العزة لله وللمؤمنين، وأن يقوم بأود عائلته، ويصلح من شأنها، ويتذوق ثمرة عمله الشريف فإذا عمل فقد قام بواجبه وخدم وطنه وبلاده٥٩.

هذا رأي البطل. البطل في إيمانه وسلوكه وخلقه.

البطل في علمه وثقافته.

البطل في وعيه وبعد نظره وإدراكه.

البطل في تعامله مع شقائق الرجال.

هذه نظرته إليهن وقد كان لهن أعظم الدور في حياته، الدور الإيجابي، كم كان يتكنى بأخته "نورة" وكم كان يستعين بها في بعض شئونه ومع هذا فهي المرأة المسلمة في المكان العالي بعيداً عن متناول الأيدي الخسيسة.

ومن المواقف المشرفة للملك عبد العزيز رحمه والتي تدل على فهم ووعي ومراقبة لله

---

٥٨ المصحف والسيف (119).

٥٩ المصحف والسيف (322 - 323).

موقفه من الدولة العثمانية فقد وقف منها موقف المسلم المجدد الواعي في الوقت الذي ولغت فيه الأيدي الآثمة والعميلة في الدماء المسلمة الحرام باسم القومية العربية تلك الأيدلوجية التي نشأت في الأحضان المشبوهة ورعتها القوى الاستعمارية، وكانت أحد أهم معاول الهدم التي سلّمت البلاد العربية إلى الاستعمار العسكري والفكري، الذي لازالت آثاره السيئة تعمل في جسد الأمة إلى اليوم٦٠.

ويشاء الله، أن يطهر يدي الملك عبد العزيز من أن تُلوَّث بدماء المسلمين الأتراك وأن يجنب بلاد الحرمين - المملكة العربية السعودية - ويلات الاستعمار وألاعيبه، وسأشير إلى بعض مواقف الملك عبد العزيز رحمه الله من الدولة العثمانية تأكيداً لما ذكر هنا إضافة إلى ما ذكر في العنصر الرابع.

في سنة 1330هـ كتب إليه والي البصرة العثماني يسأله عن رأيه في أمراء العرب وشقاقهم وخروج بعضهم على الحكومة العثمانية فأجابه الملك عبد العزيز رحمه الله بقوله: "إنكم لم تحسنوا إلى العرب، ولا عاملتموهم في الأقل بالعدل. وأنا أعلم أن استشاراتكم إياي إنما هي وسيلة استطلاع لتعلموا ما انطوت عليه مقاصدي وهاكم رأيي ثم ذكر اقتراحا سياسياً تنظيمياً لو أخذ الأتراك به لكان قَوّت على أعدائهم فرصاً كثيرةً ولكان تغيّر مجرى كثير من الأحداث٦١.

وفي رسالة للرئيس الأمريكي روزفلت سنة 1357هـ حول ما يجري في فلسطين وما اتخذ نحوها من قرارات يقول رحمه الله: "... ولم يكن العرب يشعرون بأن الترك دولة مستعمرة لبلادهم وذلك:

1 - لوجود وحدة الجامعة الدينية.

2 - لشعور العرب أنهم شركاء في الحكم.

3 - لكون الإدارة المحلية للحكم بيد أبناء البلاد أنفسهم٦٢.

هذا هو موقف الملك عبد العزيز رحمه الله - وهو الموقف الذي يليق بمثله وقد أقام كما فعل أجداده من قبل - ملكه على أساس الكتاب والسنة ونتساءل من هنا أيحق لأحد من ملوثي العقيدة والفكر أن يعد الملك عبد العزيز رحمه الله في عداد دعاة القومية العربية تلك الأيدلوجية التي أقامها نصارى ويهود العرب ومن سار في ركابهم من مغفلي المسلمين والذين يحلو لكثير منهم أن يطلقوا على الحكم العثماني "الاستعمار التركي" ومن أعجب ما تقرأه في هذه النقطة ما كتبه الصحفي محمد زيدان حيث يجعل دعاة القومية العربية صدى لصوت ساطع الحصري وعزيز علي المصري ثم يسوق كلاماً صحفياً لا يقوم على أساس علمي وليس هذا محل الرد عليه ويختم تلك البلبلة بقوله:

فالحصيلة أن دعاة القومية العربية من أولهم إلى آخرهم كانوا لعبد العزيز!! وبه!! ومنه!!٦٣.

وهذا الكلام إنما يصدره في حق الملك عبد العزيز رحمه الله واحد من اثنين:

شخص لا يملك المؤهلات للكتابة عنه رحمه الله وقد أشير إلى تلك المؤهلات أو بعضها في أول البحث.

أو شخص صاحب هوى ومتشبع بما لا يملك، نسأل الله الثبات ونعوذ به من الضلال.

ومما يؤكد عظمة ما كان يتمتع به الملك عبد العزيز رحمه الله من وعي وثقافة وبعد نظر ما جاء في نصحه لبعض أهل سوريا حيث قال: "لا تأخذوا بمدنية أوربا الزائفة، وتتركوا فضائلكم. فعدو البلاد لا يعمل لما فيه خيرها، ونصيحتي لكم أن تعملوا ما عملنا نحن وما عمله أسلافكم الأطهار فالذي يصبر يظفر"٦٤.

كان هذا كلام الأصيل الذي قال عن نفسه يوماً: "لست متطفلاً على الرياسة والملك فإن أبائي، وأجدادي معروفون منذ القدم بالرياسة والملك" ٦٥ وليت العرب سمعوا كلامه ونهجوا نهجه لكانوا عندها قد قفلوا الأبواب أمام "لعبة الأمم" التي مورست على أرضهم في أبشع الصور وأقذر الأساليب٦٦.

ومن آرائه الواعية ما قاله 1372هـ حين اتجه رأي الحكومات العربية إلى إنذار ألمانيا ثم مقاطعتها سياسياً واقتصادياً إذا هي أبرمت اتفاقها مع حكومة إسرائيل على ما سمي بالتعويضات فقد قال: "من جهة موقف الدول العربية مع الحكومة الألمانية بخصوص التعويض على إسرائيل. فالذي نراه هو بذل كل جهد ممكن لمنع التعويض لما فيه من تقوية لليهود وخطر على العرب، ولكن إذا تعذر هذا الأمر فالمعقول والمستحسن أن تحفظ العرب كرامتها بالوقوف موقفاً

---

٦٠ انظر "السعوديون والحل الإسلامي"، و"فكرة القومية العربية على ضوء الإسلام"، و"المسألة الشرقية دراسة وثائقية عن الخلافة العثمانية" و"الماسونية عقدة المولد وعار النهاية" و"بروتوكولات حكماء صهيون".

٦١ الوجيز "54".

٦٢ المصحف والسيف "187".

٦٣ ذكريات العهود الثلاثة (236).

٦٤ شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز 1337/3.

٦٥ انظر العنصر الأول وحاشية (17).

٦٦ انظر "الدبلوماسية والمكيافيلية" و"ما الذي جرى في سوريا" مع التذكير أن صاحب الكتاب الأخير كان له دور سلبي إبان أحداث اللعبة سواء كان يدري أم لايدري.

مشرفاً للعرب، وغير مثير لحفيظة الشعب الألماني المغلوب على أمره وجلب عدائه للعرب دون جدوى"٦٧.

ويقول فلبي عن إمكانات الملك عبد العزيز رحمه الله: "... وقد وجدت فيه رجلاً لا يمل عن العمل، وبالرغم من الميل إلى الانجراف بعيداً عن نقاشه بموجات من فصاحته القرآنية ٦٨ فإنه رجل ذو مقدرة تجارية، وذو معرفة جيدة بشؤون العالم، ومطلع جداً على تعقيدات السياسة العربية وإن يكن مشاهداً غير مهتم بها"٦٩.

ووظف الملك عبد العزيز رحمه الله كل إمكاناته "للدفاع عن قضية فلسطين، وكان ذلك الدفاع صورة رائعة أيضاً لما كان يتمتع به رحمه الله من إمكانات أهلته لأن يكون من أقوى المدافعين عن هذه القضية واستطاع أن يضم إلى صالحها عدداً من قادة العالم ومفكريه ومات رحمه الله وفي قلبه حرقة وفي حلقة غصة مما وصلت إليه هذه القضية والله المستعان"٧٠.

---

٦٧ شبه الجزيرة (815/2 816).

٦٨ الملك عبد العزيز رحمه الله كان على صلة وثيقة بالقرآن الكريم وقد مر بك في هذا البحث كيف كان في سفره وإقامته لا يفتأ يطلب مزيداً من القراءة في كتب العلم المختلفة، وكان في خطبه ومحادثاته يرجع إلى ذلك المعين الصافي يسترشد به ويستهديه ويدعم به أقواله، لكن أنى لمثل فلبي أن يستطيب ذلك ويعيه.

٦٩ بعثة إلى نجد (91).

٧٠ انظر بعضاً من جهوده حول قضية فلسطين. المصحف والسيف: 126، 156، 169، 205، و"شبه الجزيرة"، و"جزيرة العرب في القرن العشرين".